الــوزراء

obeikandl.com

obeikandl.com

ابن يسار

(ت ١٧٠هـ)

وزير كبير من خيار الوزراء وأفضلهم، يكنى بأبي عبيدالله، واسمه معاوية ابن عبيدالله بن يسار الأشعري بالولاء، تعلم الحديث والأدب، واتصل بالخليفة العباسي المهدي قبل أن يتولى الخلافة، فعينه كاتبًا ووزيرًا له، وكان الخليفة المهدي يعظمه تعظيمًا بالغًا، ويوقره توقيرًا ظاهرًا، وكان المهدي لا يخالفه في شيء يشير عليه به.

وحينما تولى المهدي الخلافة فوض إليه تدبير المملكة، وتنظيم الدواوين، فنهض بالوزارة وجعل لها شأنًا، وهو أول شخصية علمية تصنف كتابًا في الخراج، ذكر منه أحكامه الشرعية، ودقائقه وقواعده.

وكان يوصف بالتكبر والتجبر والغرور، مع ما وصفه به الواصفون من كثرة الخير، وعظيم الإحسان، وحب الصدقه، وعُرف عنه أيضًا حب الصلاة وكثرتها.

وتذكر كتب التراجم أنه كان له في كل يوم كر دقيق يتصدق به على المساكين، ويتولى ذلك مولى له، فلما أشتد الغلاء أتاه فقال له: قد غلا السعر، فلو نقصنا من هذا؟ فقال: أنت شيطان، أو رسول الشيطان صيره كرين، فكان له في كل يوم بعد ذلك كران يخبزان للمساكين.

وتذكر الكتب أيضًا أنه استمر في الوزراة حتى تولى الربيع بن يونس حجابة المهدي، فأفسد ثقة المهدي به، فعزله بعد أن قبض على أحد أبنائه وقتله بتهمه الزندقة، ومات معزولاً عن الوزارة.

openkanar.com

مصادر ترجمته وأخباره:

تاريخ بغداد: (١٣ / ١٩٦ ـ ١٩٧).

الكامل لابن الأثير: (٦ / ٧٥ ، ٩٥).

العبر في خبر من غبر: (١ / ٢٥٩).

شذرات الذهب: (٢ / ٣٢٦).

الأعلام: (٧ / ٢٦٢).

obeikandl.com

الفضل بن الربيع

(١٣٨ ـ ٢٠٨ هـ)

أبو العباس الفضل بن الربيع بن يونس من كبار الوزراء، فيه أدب وحزم، وكان والده وزيرًا عند المنصور العباسي، أما صاحب الترجمة فقد تبوأ منزلة كبيرة عند الرشيد، وكان متمكنًا منه جدًا، وكان كارهًا للبرامكة كرهًا شديدًا، وما زال يحفر من بعدهم حتى تولى الوزارة مكانهم، ويقال: إنه دخل يومًا على يحيى بن خالد وابنه جعفر يوقع بين يديه، ومع الفضل عشر قصص، فلم يقض له منها واحدة، فجمعهن الفضل بن الربيع، وقال: ارجعن خائبات خاسئات، ثم نهض وهو يقول:

عسى وعسى يثني الزمان عنانه

بتصريف حال والزمان عثور

فتقضى لبانات وتشفى حزائز

وتحدث من بعد الأمور أمور

فسمعه الوزير يحيى بن خالد وقال له: أقسمت عليك لما رجعت، فأخذ منه القصص ووقع عليها.

وعندما تولى الأمين الخلافة أقره في وزارته، فأخذ يشن الخصومة للمأمون، وحينما هزم الأمين وانتصر المأمون هرب الفضل بن الربيع واستتر عنه فعفا عنه المأمون، ولكنه أهمله، فظل في عهد المأمون بطالاً إلى أن مات، وفيه يقول أبو نواس:

مـــــــا رعـى الـدهـر آل بـرمـك لما

أن رمـى مـلـكـهـم بـأمـــــــر فـظـيـع

إن دهـراً لما يـرع ذمـــــة لـيـــحـــيـى

غــــيــــــر راع ذمـــــــام آل الـربـيـع

وهكذا الدنيا تعب طالبها، وحزن سالكها، سرورها قليل، وهمها كثير.

مـصادر ترجـمته وأخـباره:

البدايه والنهايه: (١٠ / ٢٦٣).

تاريخ بغداد: (١٢ / ٣٤٣ ـ ٣٤٤).

وفيات الأعيان:(٤ / ٣٧ ـ ٤٠).

العبر في خبر من غبر: (١ / ٣٥٥).

شذرات الذهب: (٣ / ٤٢ ـ ٤٣).

سير أعلام النبلاء: (١٠ / ١٠٩ ـ ١١٠).

معجم الشعراء للمرزباني ص: (١٦٣).

الأعلام: (٥ / ١٤٨).

obeikandi.com

الفضل بن يحيى البرمكي

(١٤٧ ـ ١٩٣هـ)

رجل من رجالات العالم، كان يضرب بكبره وتيهه المثل، هو الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي، وزير هارون الرشيد، وأخوه من الرضاعة، استعمله على المشرق كله، واستعمل أخاه جعفرًا على المغرب كله.

وكان الفضل من أجود الناس وأكرمهم، وله أخبار في السخاء المفرط، ويقال: إنه وصل مرة بعض أشراف العرب بخمسين ألف دينار، وعندما أصابت النكبة البرامكة قبض عليه، وعلى أبيه يحيى وأودعا السجن، ثم صودرت أموالهما، وضرب الفضل في المصادرة مئتي سوط حتى كاد يتلف، وحينما كان في السجن كان ينشد كثيرًا قول أبي العتاهية:

إلى الله فيما نالنا نرفع الشكوى

ففي يده كشف المضرة والبلوى

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها

فلسنا من الأموات فيها ولا الأحيا

إذا جاءنا السجان يومًا لحاجة

عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

وكان الفضل من أبر الناس بأبيه، وعندما كانا في السجن كان يأخذ الإبريق النحاس وفيه الماء فيلصقه ببطنه علَّ برودته أن تنكسر بحرارة بطنه، ليستعمله أبوه بعد ذلك، لأن تسخين الماء كان متعذرًا عليهم.

وظل الفضل مسجونًا حتى توفي في سجنه بالرقة.

مصادر ترجمته وأخباره:

وفيات الأعيان:(٤ / ٢٧ ـ ٣٦).

الكامل في التاريخ: (٦ / ٢١٠).

تاريخ بغداد: (١٢ / ٣٣٤ ـ ٣٣٩).

سير أعلام النبلاء: (٩ / ٩١ ـ ٩٢)

العبر في خبر من غبر: (١ / ٣٠٩).

شذرات الذهب: (٢ / ٤٢٣ ـ ٤٢٧).

تاريخ الطبري: (٨ / ٣٤١).

الأعلام: (٥ / ١٥٢).

obeikandl.com

أبو الفضل جعفر البرمكي

(١٥٠ ـ ١٨٧هـ)

أبو الفضل جعفر البرمكي شخصية تاريخية عظيمة، ضحكت له الدنيا ردحًا من الزمن ثم عبست، وانبسطت ثم انقبضت، وهكذا هي ولسان حالها يقول:

لكل شيء إذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش إنسان

هي الأمور كما شاهدتها دولٌ
من سره زمن ساءته أزمان

وصف بالفصاحة والسؤدد والأيادي البيضاء، واسمه كاملاً جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك الفارسي، وقد كان الخليفة العباسي الشهير المهدي قد ضم إلى كبير البرامكة ـ يحيى بن خالد البرمكي ـ والد جعفر المترجَم له ـ تربية ابنه هارون الرشيد، فأدبه وأحسن تأديبه، ورباه فأحسن تربيته، وقد جمع الله الشتيتين فأحب هارون يحيى حبًا جمًا، من شدة حبه وكماله كان يدعوه يا أبي، وكانت أم جعفر هي أم الرشيد من الرضاعة، فاجتمعت كل هذه الأمور، وشدَّ بعضها ساعد بعض، وطار حظهم حين تولى الرشيد مقاليد الحكم، فجعل يحيى بن خالد على الوزارة، ولأولاده الحول والطول، ومن أخصهم في هذه المنقبة «جعفر».

يقول الإمام الذهبي ـ رحمه الله عليه ـ: «وما أدراك ما جعفر، له نبأ عجيب، وشأن غريب، بقي في الارتقاء في رتبة شرك الخليفة في أمواله

ولذاته وتصرفه في الممالك، ثم انقلب الدّست في يومٍ فقتل، وسجن أبوه، وإخوته إلى الممات، فما أجهل من يغتر بالدنيا».

وقد أعطي جعفر جمال الخَلق والخُلق، فكان وسيمًا أبيض جميلاً، من ذوي الفصاحة، والمشهورين باللسن والبلاغة، وقد وصفه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد بقوله: «كان سمح الأخلاق، طلق الوجه، ظاهر البشر»، وأما حديثه فقد وصفه الواصفون بقولهم: «جمع الهدوء والتمهل والجزالة والحلاوة وإفهامًا يغنيه عن الإعادة».

وقّع إلى أحد عماله وقد شُكي منه فكتب:« قد كثر شاكوك، وقلَّ شاكروك، فإما اعتدلت وإما اعتزلت».

وأما الجود والكرم فأشهر من أن يذكر وهو القائل: «إذا أقبلت الدنيا عليك فأعطِ فإنها لا تفنى، وإذا أدبرت فأعط فإنها لا تبقى».

ويقال: إنه حينما حج، وقفت له امرأة، وكانت السنة مجدبة، فأنشدته:

إني مررت على العقيق وأهله

يشكون من مطر الربيع نزورا

ما ضرَّهم إذ جعفر جادَ لهم

أن لا يكون ربيعهم ممطورا

فأجزل لها العطاء، جرّاء قولها هذه الأبيات.

وقد كانت لجعفر مكانة عالية، وحالة منفردة عند هارون الرشيد، ونال من الوزارة منزلة لم ينلها وزير قبله ولا بعده، حيث كان يدخل عليه بلا إذن، وهو في أخص أحواله، ويقال: إن الرشيد اتخذ ثوبًا له زيقان[1]، فكان يلبسه هو

وجعفر جملة، ولم يكن يصبر عنه قط، ولا يتم له سرور إلا به ، ورغم هذا، بل أكثر منه فـ

هذه الدار لا تُبـــقي على أحـــدٍ

ولا يدوم على حـــالٍ لهـــا شـــانُ

تغير الرشيد عليهم ونكبهم نكبة عظيمة، أثرت في التاريخ تأثيرًا عظيمًا، فلا يذكر الرشيد إلا ويذكر معه حدث تاريخي خطير ألا وهو «نكبة البرامكة»، وقد تفاعل المؤرخون بشدة مع هذه النكبة، وحظيت منهم باهتمام كبير، فلا تكاد تبحث في كتبهم إلاّ وجدت كثيرًا منهم قد عبر عن شعوره تجاهها، يقول الإمام ابن كثير رحمه الله رحمة واسعة: «كان مهلك البرامكة على يدي الرشيد، قتل جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي، ودمر ديارهم، واندرست آثارهم، وذهب صغارهم وكبارهم».

وقد تفاعل المؤرخون بشدة مع هذه النكبة، وعللوها بأسباب كثيرة منها:

ـ أن هارون الرشيد سلّم إلى جعفر بن يحيى رجلاً اسمه: يحيى بن عبدالله بن الحسين لخروجه عليه، فرقَّ له جعفر وأطلقه، وحينما علم هارون الرشيد بحقيقة الأمر تغيّظ عليه.

ـ وقيل: بل بنى جعفر دارًا غرم عليها عشرين ألف ألف درهم، فنقم عليه ذلك.

ـ وقيل: إنه كان لا يمر ببلد ولا إقليم ولا قرية ولا مزرعة ولا بستان، إلا قيل: هذا لجعفر البرمكي.

ـ ومنها أن يحيى بن خالد حجَّ فتعلق بأستار الكعبة، ودعا على نفسه

بزوال ملكه، حتى يكون كفارة لذنوبه، وكان من دعائه: اللهم إن ذنوبي جمة عظيمة لا يحصيها غيرك، اللهم إن كنت تعاقبني فاجعل عقوبتي بذلك في الدنيا، وإن أحاط ذلك بسمعي وبصري وولدي ومالي، حتى يبلغ رضاك، ولا تجعل عقوبتي في الآخرة.

فاستجيب له وهذا وجه وسبب له وجاهته، فسهام الليل لا تخطي مراميها، وقد ورد في بعض الكتب المترجمة له: «وكان من الأسباب أيضًا، ولا تعده العامة سببًا، وهو أقوى الأسباب».

ومن الأسباب الغريبة ما ذكر من أن الرشيد كان يشرب في آخر أيامه المسكر، وكان محبًا لأخته العباسة، ويحضرها معه مجلس شرابه، وجعفر معه، فزوجه بها ليحل له النظر إليها، وشرط عليه عدم الوطء، ولكنها خدعته، ومكنته من نفسها، لقصة سردها التاريخيون والمترجمون في كتبهم، وترتب على هذا أن حبلت منه، وانجبت ولدًا، واخفته عن أخيها هارون الرشيد، وحينما علم الرشيد، وتثبت من الأمر، كانت النكبة الأليمة.

وقيل: إن سعيد بن سالم سئل عن جناية البرامكة الموجبة لغضب الرشيد، فقال: والله ما كان منهم ما يوجب بعض عمل الرشيد بهم، ولكن طالت أيامهم، وكلٌّ طويل مملول، والله لقد استطال الناس الذين هم خير الناس أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وما رأوا مثلها عدلاً وأمنًا وسعة أموال وفتوح، وأيام عثمان رضي الله عنه حتى قتلوهما.

ومن الأسباب الموجبة للنكبة والتي ألمح إليها المؤرخون قولهم: إن أعداء جعفر البرمكي، كالفضل بن الربيع وغيره، لاذوا بالرشيد فأظهروا القبيح، وستروا الحسن، حتى حدثت النكبة، وكان الرشيد إذا ذكروهم بعد ذلك ينشد البيت الشعري الآتي:

أقلّوا عليـــــهم لا أبا لأبيكم
من اللوم أو سُدُّوا المكان الذي سدوا

ثم أمر الرشيد بجعفر فقتل، ونُصب رأسه، ثم شقت جثته، واحتاط على جميع البرامكة، فلم يفلت منهم أحد، واستباح قصورهم، وهتك ستور دورهم، ونهب أموالهم، فنظر يحيى بن خالد إلى ما حدث بأمواله، فقال: «هكذا تقوم الساعة».

وقال له أحد أولاده وهم في القيود: يا أبه بعد الأمر والنهي، والأموال صرنا إلى هذا؟

قال: يا بُنيّ دعوة مظلوم غفلنا عنها، لم يغفل الله عنها.

فهكذا كان مصيرهم، قتل جعفر، وسجن والده وإخوته.

﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾.

وقد أحس جعفر بدنو أجله، وقرب رحيله، وذلك حين انتبه من منامه يبكي مذعورًا، وقال: رأيت شيخنا جاء فأخذ بعضادتي هذا الباب، وقال:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا
أنيس ولم يســمــر بمكة ســامــر

بلى نحن كنا أهلهــا فــأبادنا
صروف الليالي والجدود العواثر

فلما كان من الغد، قُتل ونصب رأسه على الجسر.

ويقال: إن الرقاشي نظر إليه وهو على جذعه فقال:

أمـــــا والـلـه لـولا خـــــــوف واشٍ
وعـين لـلـخـلـيـــــفـــــة لا تـنـام

لطفنا حـــول جــذعك واســتلمنا
كــمـــا للناس بـالـحـجـــر اســتــلام

فـمـا أصـبـرت مـثلك يا بـن يحـيـى
حـــســـامًـــا فله السـيف الحـســـام

على اللذات والـدنيـــا جـــمـــيـــعًـــا
ودولــة آل بـــرمــك والـســــــــــلام

ووقفت امرأة وقالت له: والله ياجعفر لئن صرت اليوم آية، لقد كنت في المكارم غاية، ثم أنشأت تقول:

ولما رأيت السـيـف خـالـط جـعـفـراً
ونادى منادٍ للخليـفــة في يحــيى

بـكيت على الدنيـــا وأيقـنـت أنما
قـصارى الفتى يومًا مفارقة الدنيا

ومــــــا هي إلا دولـة بعــــــد دولـة
تـخــوِّل ذا نعـــمى وتعــقب ذا بلوى

إذا أنـزلـت هـذا مـنـازل رفــــعــــــة
من الملك حطت ذا إلى الغاية القصوى

وبكى على جعفر البرمكي علماء الإسلام، وفقهاء الدين، وعندما بلغ سفيان بن عيينه رحمه الله تعالى قتله، استقبل القبلة، وقال: اللهم إن جعفراً قد كفاني مؤنة الدنيا، فاكفه مؤنه الآخرة.

obeikandl.com

وندم الرشيد على قتلهم حين لا ينفع الندم، وقال: لعن الله من أغراني بالبرامكة، فما وجدت بعدهم لذة ولا راحة ولا رجاء، وددت والله أني شطرت نصف عمري وملكي، وأني تركتهم على حالهم.

وقد ذاق البرامكة الفقر المدقع، والذل المهين، فصاروا يضربون مثلاً سائراً لتحول النعمة والرفعة إلى النقمة والمهانه.

ودخلت عبادة والدة جعفر على أناس في عيد الأضحى تطلب منهم جلد كبش لتستدفأ به، فسألوها عن أيام العز والجاه، فقالت: لقد أصبحت في مثل هذا اليوم، وإنَّ على رأسي أربعمائة وصيفة، وكنت أقول: إنَّ ابني جعفر عاق لي.

وقد زال أمرهم، واندثر ملكهم، فسبحان مقلب القلوب، وقالب الأيام، ومن بيده ملكوت كل شيء، يهب ملكه من يشاء، وينزعه ممن يشاء ، ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر

ولن تظفري من بعده بمسوِّد

وقل للعطايا بعد فضل تعطلي

وقل للرزايا كل يوم تجددي

ودونك سيفًا برمكياً مهنداً

أصيب بسيف هاشمي مهندِ

أهم مصادر ترجمته وأخباره:

تاريخ الطبري: (٨ / ٢٨٧ ـ ٣٠٢).

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: (٧ / ١٥٢ ـ ١٦).

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي: (٩ / ١٢٦ ـ ١٤٨).

الكامل في التاريخ لابن الأثير: (٦ / ١٧٥ ـ ١٨٠).

وفيات الأعيان لابن خلكان:(١ / ٣٢٨ ـ ٣٤١).

سير أعلام النبلاء للذهبى: (٩ / ٥٩ ـ ٧١).

العبر للذهبي: (١ / ٢٩٨).

الوافي بالوفيات للصفدي: (١١ / ١٥٦ ـ ١٦٥).

البدايه والنهايه لابن كثير: (١٠ / ١٨٩ ـ ١٩٧).

شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد: (٢ / ٣٩١ ـ ٣٩٧).

الأعلام لخير الدين الزركلي: (٢ / ١٣٠).

(١) زيقان: زِيق القميص بالكسر، ما أحاط بالعنق منه، ينظر القاموس، مادة: زِيق.

obeikandl.com

ابن الفرات

(٢٤١ ـ ٣١٢هـ)

أبو الحسن علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات، من الوزراء الكبار، تولى وزارة المقتدر بالله ثلاث مرات، وظل وزيرًا له إلى أن نكبه، وأصابته الذلة والمهانة بعد العزة والرفعة.

ويقال: إنه عندما أعيد إلى الوزارة في المرة الثانية خُلع عليه سبع خلع، وحملت إليه أموال عظيمة جدًا، وعدد وآلات كثيرة، وسقي في بيته أربعون ألف رطل من الثلج، وكان عظيمًا جبارًا عسوفًا ذا أموال كثيرة، ودنيا عريضه، وكانت فيه فضائل منها: أن الناس إذا مشوا بين يديه غضب، وقال: أنا لا أكلف هذا غلماني، فكيف أكلف أحرارًا لا إحسان لي عليهم.

وكان يجري الرزق على خمسة آلاف من أهل العلم والدين وعلى الفقراء أيضًا، ولم تطل به المدة في وزارته الثانية بل عزل عنها، ثم أعيد إليها مرة ثالثه، وحين عاد هذه المرة كان ناقمًا على أعدائه، مغتاظًا من خصومه، فأطلق يد ولده المحسِّن فيهم فما زال يقتل ويسفك الدماء، حتى أمر المقتدر بالله بالقبض على ابن الفرات وولده، وفي ذلك يقول الصُّولي: «قبض المقتدر على ابن الفرات وهرب ابنه فاشتد السلطان وجميع الأولياء في طلبه إلى أن وجد، وقد حلق لحيته وتشبه بامرأة في خفٍ وإزار، ثم طولب هو وأبوه بالأموال».

فسبحان من بيد العز والذل والعطاء والمنع، فبعد سفك الدماء وقتل النفوس، وبعد الأمر والنهي يختفي المحِّسن في زي امرأة، ويخضب يديه حتى لا يعرف، وعندما قبض عليه في هذه الحالة عُذّب، ثم أمر المقتدر بالله بقتلهما، وألقيت الرؤوس في دجلة.

ومن الأخبار الغريبة أن زوجة المحسِّن افتقرت جداً، وارادت أن تختن ابنها، ولم تجد مالاً، فرأت زوجها المحسِّن في منامها، وأخبرته بفقرها، فقال لها: إن لي عند فلان عشرة آلاف دينار أودعته إياها، فانتبهت واخبرت أهلها فسألوا الرجل، فاعترف وحمل المال عن آخره.

وفي المحسِّن هذا، أنشد أبو بكر العلاف قصيدة في رثائه، وكنى عنه بالهر، لأنه لم يجسر على التصريح باسمه وذكره، وقد أوردها ابن خلكان في وفيات الأعيان (٢ / ١٠٩) ومنها قوله:

ياهرُّ فارقتنا ولم تعد
وكنتَ عندي بمنزله الولد

فكيف ننفكُّ عن هواك وقد
كنت كنا عُدة من العُدد

تطرد عنا الأذى وتحرسنا
بالغيب من حيّةٍ ومن جُرد

وتخرج الفأر من مكامنها
ما بين مفتوحها إلى السدد

يلقاك في البيت منهم مدد
وأنت تلقاهم بلا مدد

وفي ابن الفرات قال الشاعر:

أياديك عندي معضمات جلائل
طوال المدى شكري لهن قصير

obeikandi.com

فـإن كنت عن شكري غنيًـا فـإنني
إلـى شُكر مــا أوليــتني لفــقــيــر

وحينما آل ابن الفرات إلى ما آل إليه قال القائل فيه أيضًا:

قل لهــذا الوزير قــول مــحق
بثَّــه النصح أيما إثبــات

قــد تقلّدتهــا ثلاثاً
وطلاق البــتــات عند الثــلاث

ويقول فيه الإمام ابن كثير في البداية والنهاية ما نصه: «وكانت فيه مروءة وكرم وحسن سيرة في ولاياته، غير هذه المرة «أي المرة الأخيرة» فإنه ظلم وغشم وصادر الناس وأخذ أموالهم، فأخذه الله أخذ القرى وهي ظالمة، أخذ عزيز مقتدر».

مصادر ترجمته وأخباره:

سير أعلام النبلاء: (١٤ / ٤٧٤ ـ ٤٧٩).

شذرات الذهب: (٤ / ٦٠ـ٦١).

العبر في خبر من غبر: (٢ / ١٥٧ ـ ١٥٨).

البدايه والنهايه: (١١ / ١٥١ ـ ١٥٢).

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: (١٣ / ٢٤١ ـ ٢٤٤).

الكامل في التاريخ: (٨ / ٩).

وفيات الأعيان:(٣ / ٤٢١ ـ ٤٢٩).

الأعلام: (٤ / ٣٢٧).

obeikandi.com

ابن الجرَّاح

(٢٤٣ ـ ٢٩٦هـ)

هو محمد بن داود بن الجرَّاح، أبو عبدالله، أديب من علماء الكتاب، كان كاتبًا عارفًا بارعًا بأيام الناس، وأوحد أهل العلم بالأخبار، من أهل بغداد، وهو عم علي بن عيسى الوزير، كان صديقًا لعبدالله بن المعتز، ووزر له يوم خلافته، قال أبو عمر محمد بن يوسف القاضي: لما جرت واقعة ابن المعتز حُبست أنا والقاضي أبو المثنى أحمد بن يعقوب، ومحمد بن داود بن الجرّاح، وكنا في دار في ثلاثة أبيات متلاصقات، وبيتي في الوسط، وإذا جننا الليل تحدثنا من وراء الجدار، وأوصى بعضنا إلى بعض، فلما كان في بعض الليالي دخل أناس بشموع إلى بيت محمد بن داود، وأخرجوه، وأضجعوه للذبح، فقال: ياقوم ذبحًا كالشاة أين المصادرات؟ أين أنتم من الأموال، أنا أفدي نفسي بكذا وكذا، فلم يُسمع منه، وذبحوه، وأخذوا رأسه وألقوا جثته في البئر.

ومن شعره قوله:

أعينُ أخي أو صاحبي في مصابه

أقومُ له يوم الحفاظ وأقعدُ

ومن يفرد الأقوام فيما ينوبهم

تُبته الليالي مرةً وهو مفرد

مصادر ترجمته وأخباره:

الوافي بالوفيات: (٣ / ٦١ ـ ٦٢).

فوات الوفيات: (٣ / ٣٥٣ ـ ٣٥٤).

تاريخ بغداد: (٥ / ٢٥٥).

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: (١٣ / ٩١).

العبر في خبر من غبر: (٢ / ١١٢ ـ ١١٣).

شذرات الذهب: (٣ / ٤١٠).

الأعلام: (٦ / ١٢٠).

obeikandl.com

ابن مُقْلة

(٢٧٢ ـ ٣٢٨هـ)

ابن مقلة وزير من وزراء الدنيا الكبار، ومن كتاب الأدب المشهورين، ويضرب به المثل في جودة الخط وجماله وملاحته، فهو في فن الخط ورسمه بمثابة المقلة من العين، فوافق اسمه صنعته، ووافقت حرفته مسماه، وقد جمع الله له بين منزلتين عاليتين وهما النظم والنثر، وكان يدعى محمد بن عليّ بن الحسين بن مُقله، وأما كنيته فهي أبو على.

وكان في بداية أمره، وأول سنيه، ضعيف الحال، قليل المال، رث الهيئة، ولكنه كان ذا همة عالية، ونفس حرون أبيّه، تواقة شواقة، تاقت إلى الوزارة، فوافقت همته قدره، وطموحه غيبه، فوزر لثلاثة من خلفاء الدولة العباسية وهم: المقتدر والقاهر بالله، والراضي.

وتذكر كتب التراجم أنه كان بينه وبين جحظة الشاعر صداقة، فعندما تولى الوزارة، استأذن عليه حجظة فلم يؤذن له، فقال:

قل للوزير أدام الله دولته

اذكر منادمتي والخبز خشكار

إذ ليس بالباب برذون لنوبتكم

ولا خمار ولا في الشط طيّار

وعندما تولى الوزارة في عهد الراضي، كان أبو بكر محمد بن رائق متولي أمر الضياع والخراج، فاحتاط على أملاك ابن مقلة، فنفس عليه، أي حقد

عليه، وأخذ في التشويش عليه، فتمكن ابن رائق منه وقطع يده اليمنى، وكان ينوح عليها ويقول: خدمت بها الخلفاء، وكتبت بها القرآن الكريم، دفعتين، تقطع كما تقطع أيدي اللصوص، وينشد:

إذا ما مات بعضك فابك بعضًا

فإن البعض من بعض قريب

ورغم هذا إلاّ أنه من فرط حبه للخط والأدب كان يشد القلم على ساعده ويكتب به، وكان سبب قطع يده، أن أبا الحسن محمد بن شنبوذ المقرئ، دعا عليه دعوة حارة، فاستجيبت وفي هذا يقول الإمام ابن كثير: «اختار (يقصد ابن شنبوذ) حروفاً في القراءات أنكرت عليه، وعقد له مجلس في دار الوزير ابن مقلة، وضرب حتى رجع عن كثير منها، وكانت قراءات شاذة أنكرها عليه قراء عصره، وقد دعا على الوزير ابن مقلة حين أمر بضربه، فلم يفلح ابن مقلة بعدها، بل عوقب بأنواع من العقوبات».

وعندما قدم بجكم التركي من بغداد، كان من المنتمين إلى ابن رائق، فأمر بقطع لسانه، فقطع، وحُبس مدة، ولحقه سقم، فكان يخدم نفسه بنفسه، ويستسقي لنفسه، فيجذب بيده اليسري جذبة، وبفمه الأخرى، ويرثي حاله بأشعار منها:

ما سئمت الحياة لكن توثقـ

ـت بأيمانهم فبانت يميني

بعت ديني لهم بدنياي حتى

حرموني دنياهم بعد ديني

ولقد حُطت ما استطعت بجهدي

حفظ أرواحهم فما حفظوني

ليس بعد اليمين لذة عيش

ياحياتي بانت يميني فبيني

ومن أشعاره في التجلد والصبر قوله:

لست ذا ذلة إذا عفني الدهـ

ـر ولا شامخًا إذا واتاني

أنا نار في مرتقى نفسي الحا

سد ماء جار مع الإخواني

وقد تبوأ ابن مقلة مكانة رفيعة جدًا، وحسبك بهذا أنه وزر ثلاث مرات لثلاثة خلفاء.

ويقال: إنه عندما تولى وزارته الأولى كانت فاكهته بخمس مئة دينار في كل يوم جمعة، وحينما همَّ ببناء دار عظيمة جمع المنجمين واختاروا لها وقتًا، وعندما أنشأها، وكانت غاية في العظمة والفخامة والبهاء قيل فيها:

قل لابن مقلة مهلاً لا تكن عجلاً

واصبر فإنك في أضغاث أحلام

تبني بأنقاض دور الناس مجتهداً

داراً ستهدم أيضًا بعد أيام

مازلت تختار سعد المشتري لها

فلم توقَّ به من نحس بهرام

obeikandl.com

إن القرآن وبطليموس ما اجتمعا

في حال نقضٍ ولا في حال إبرام

وقد صدقت فراسة القائل، واحترقت داره بعد ستة أشهر، وصارت عظة للمتعظ، عبرة للمعتبر.

ويقول الإمام ابن كثير عليه ـ رحمه الله وغفرانه ـ: «ثم صار هذا كله عما قريب بعد النضرة والبهجة والبهاء إلى الهلاك والبوار والفناء والزوال، وهذه سنة الله في المغترين الجاهلين الراكنين إلى دار الفناء والزوال».

مصادر ترجمته وأخباره:

وفيات الأعيان:(٥ / ١١٣ ـ ١١٨).

سير أعلام النبلاء: (١٥ / ٢٢٤).

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: (٦ / ٣٠٩ ـ ٣١١).

الكامل في التاريخ: (٨ / ١٨٣).

البدايه والنهايه: (١١ / ١٩٥ ـ ١٩٦).

شذرات الذهب: (٢ / ٣١٠ ـ ٣١٢).

العبر في خبر من غبر: (٢ / ٢١٧).

الأعلام: (٦ / ٢٧٣).

معجم المؤلفين: (١٠ / ٣٢٠).

obeikandl.com

ابن العميد

(٣٣٧ ـ ٣٦٦هـ)

أبو الفتح عليّ بن محمد بن الحسين، وزير كبير، وابن وزير عظيم، وهو ابن أبي الفضل (ابن العميد) الوزير المشهور المتوفى سنة ٣٦٠هـ.

وكان أبو الفتح هذا من الكتاب الشعراء، فيه ذكاء خارق، تولى الوزارة وله من العمر اثنتان وعشرون سنة، ولقبه الخليفة الطائع لله بذي الكفايتين وهما: السيف والقلم، وحينما تولى الوزارة كان شابًا نزقًا يتبسط في أمور كثيرة، حمله عليها خفة الشباب وطيشه، وكان القواد وعساكر الجيش يحبونه كثيرًا، وقد كان يحضهم على قتل الصاحب بن عباد، فنقم عليه مؤيد الدولة هذه الأمور، وخاف من عاقبته، فأمر بالقبض عليه وحمله إلى بعض القلاع، وأخذوا منه أمواله، وعذبوه عذاباً شديداً حيث سملوا عينيه، ثم جزوا لحيته، وجدعوا أنفه، فقال عند ذلك:

بُدّلَ من صورتي المنظرُ
لكنه ما بُدِّل المخبر

وليس إشفاقاً على هالكٍ
لكنه على من يستعبر

وواله القلب بما مسّني
مستخبر عني ولا يُخبر

فـــقل لمن سُـــرَّ بما ســـاءنى

لابُدَّ أن يُسلك ذا المعـــبـــر

وعندما عرضوه على أنواع العذاب وأحس بالقتل قال:

راعوا قليلاً فليس ذا الدهر عبدَكُمُ

كـــمـــا تظنون والأيام تنتـــقل

وجد على حائط مجلسه بعد قتله:

ملك شـــدَّ لي عُـــرا الميـــثـــاق

بأمـــانٍ قـــد ســـار في الآفـــاق

لـم يـحـل رأيـه ولـكـنَّ دهـري

حـــال عن رأيه فـــشـــد وثاقي

ومن المصادفات العجيبة أن أبا الفتح هذا قد أغرم قبل زوال دولته، وتنكر الخليفة له بترديد بيتين لا يجفُّ لسانه منهما:

ملك الدنيـــا أُناس قـــبلنا

رحلوا عنهـــا وخلّوها لنا

ونزلناها كـــمـــا قـــد نزلوا

وتخلّيـــهـــا لقـــومٍ غـــيـــرنا

ويقول بعضهم في بني العميد:

مـــررت على ديار بني العـــمـــيـــد

فـألفـيت السـعـادة في خـمـود

فـــقل للشـــامت البـــاغي رويداً

فـــإنك لم تبـــشـــر بالخلود

مصادر ترجمته وأخباره:

معجم الأدباء: (١٤ / ١٩١ ـ ٢٤٠).

يتيمة الدهر: (٣ / ١٨١ ـ ١٨٨).

الأعلام: (٤ / ٣٢٥).

obeikandl.com

ابن المُسْلِمة

(٣٩٧ ـ ٤٥٠ هـ)

هو أبوالقاسم علي بن الحسن بن أبي الفرج أحمد، من خيار الوزراء وأفاضلهم، اجتمع فيه من الآلات ما لم يجتمع في أحد قبله، مع سداد مذهب، وحسن اعتقاد، ووفرة عقل، وأصالة رأي.

وكان عزيزًا جدًا على القائم بأمر الله العباسي، ثم استوزره، ولقبه (جمال الدين، شرف الوزراء، رئيس الرؤساء) وظل في وزارته هذه اثنتي عشرة سنة وشهراً، حتى كانت فتنة البساسيري على بغداد، وكان شديد البغض له، لأمور حدثت بينهما، فيقال: إنه أخرج وعليه عباءة وطُرطور وفي رقبته مخنقة جلود، وهو يقرأ: ﴿ قل اللهم مالك الملك...﴾ ويرددها، وطيف به على جمل، ثم خيط عليه جلد ثور بقرنين، وعُلِّق في فيه كلُّوبان ثم تلف في آخر النهار. وكان آخر كلامه: الحمد لله الذي أحياني سعيدًا، وأماتني شهيداً، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء، يهب ملكه من يشاء، ويمنعه من يشاء.

مصادر ترجمته وأخباره:

البدايه والنهايه: (١٢ / ٧٨ ـ ٧٩).

تاريخ بغداد: (١١ / ٣٩١ ـ ٣٩٢).

سير أعلام النبلاء: (١٨ / ٢١٦ ـ ٢١٨).

العبر في خبر من غبر: (٣ / ٢٢٣).

الكامل في التاريخ: (٩ / ٥٣٠، ٦٤٣، ٦٤٤)

ابن يُونس

(... - ٥٩٣هـ)

هو عبيدالله بن يونس بن أحمد الأزَجي البغدادي جلال الدين أبو المظفر، وزير من أهل بغداد رحل في طلب العلم إلى همذان، وصنف وعنى بالحديث والفرائض والحساب والجبر وسمع ممن لا يحصى.

استوزره الخليفة الناصر لدين الله، ثم أرسله على رأس جيش لمحاربة السلطان طغرل بن أرسلان، فتفرق عسكره، وعندما انهزم الجيش ظلَّ ثابتًا قائمًا معه المصحف والسيف، وعندما أسر في المعركة أخذوا ما معه من سلاح ودواب وغير ذلك، ثم هرب إلى الموصل، وعاد إلى بغداد متسترًا، وظهر فولاه الخليفة أمر الخزانة والديوان، وصار كالنائب في الوزارة، ثم اعتقله الخليفة وكتب العلماء فيه فتاوى تنص على أنه سبب هزيمة العسكر، وذكروا أشياء فأفتى العلماء بإباحة دمه، فسلم إلى الوزير ابن القصاب واعتقله في بيت السلاح وأخرج منه ميتًا.

وقال ابن شهبة في تاريخ الإسلام ـ نقلاً عن الشذرات ـ بعد أن أثنى عليه: غير أنه شان فضيلته برأيه الفاسد وأفعاله السيئة، فإنه خرب بيت الشيخ عبدالقادر الكيلاني، وشتت أولاده، ويقال: إنه بعث في الليل من نبش قبر الشيخ عبدالقادر الكيلاني، ورمى عظامه في اللُّجَّة، وقال: هذا وقف ما يحلُّ أن يدفن فيه أحد.

ويقال: إنه عندما عادت عساكر بغداد منهزمة، قال بعض الشعراء:

اتركـونا مـن جـائحـات الجـريمة

طلـعـــة تكون وخـــيـــمـــة

بـركـــات الوزير قـــد شـــملتنا

فلهـذا أمـورنا مـسـتـقـيـمـة

خـــرجت جندنا تريد خـــراســا

ن جــمــيـعـًـا بأبّهـات عظيـمـة

بـخـــيـــول وعـــدةٍ وعـــديدٍ

وســيــوف مــجــرّبات قـــديمة

ووزيـــرٍ وطـــاق طُـــنـــبٍ ونَـــفْـــشٍ

وخـــيـــول مـــعـــدةٍ للهـــزيمة

هم رأوا عـــزة الـعــــدو قـــد أقـ

ـبل ولّوا وانحل عـــقـــد العـــزيمة

وأتـونـا ولا بـخـــــفـي حـنـين

بـوجـوهٍ سـودٍ قـبـاح دمـيـمـة

مصادر ترجمته وأخباره:

الكامل في التاريخ لابن الأثير: (١٢ / ٢٤ ـ ٢٦).

شذرات الذهب: (٦ / ٥١٣ ـ ٥١٤).

العبر في خبر من غبر: (٤ / ٢٨١ ـ ٢٨٢).

الأعلام: (٤ / ١٩٨).

أسعد ماتي

(٥٤٤ ـ ٦٠٦ هـ)

أسعد ماتي أديب أريب، ووزير كبير، تولى منصب الوزارة في مصر، وتصدّر في أهم دواوينها وهما ديوانا الجيش والمال، صحب القاضي الفاضل عبدالرحيم بن علي البيساني، وصنف له عدة تصانيف باسمه، وعندما تولى الملك العادل أبوبكر بن أيوب الديار المصرية كان له وزير يدعى ابن شُكّر، وكان في نفسه حقد قديم على المترجم له، فأخذ في تدبير المؤامرات والمكايد، وألزمه أموالاً عظيمة، وطالبه بدفعها، وقد لقي ذلاً عظيمًا يقول:

«عُلِّقت في المطالبة على باب داري بمصر على ظهر الطريق في يوم واحدٍ إحدى عشرة مرّة ، فلما رأوا أنني لا وجه لي، قيل لي: تحيّل، ونجم هذا المال عليك في نجوم، فقلت: أما المال فلا وجه له عندي، ولكن إن أطلقت وملكت نفسي، استجديت من الناس، وسألت من يخافني ويرجوني، فلعلي أحصل من هذا الوجه، فأما من وجه حاصل فليس لي بعدما أخذتموه مني درهم واحد».

ثم ضاقت عليه الدنيا بما رحبت، وأختفى في مقبرة تسمى مقبرة الماذرائيين لمدة عامٍ كامل، ثم عزم على الهرب إلى الشام، وعندما كان في الطريق لحقه لاحق ، وأعطاه مكتوبًا، فإذا هو من الوزير ابن شُكّر، يقول فيه: «لا تحسب أن اختفاءك عني كان بحيث لا أدري أين أنت؟ ولا أين مكانك؟ فاعلم أن أخبارك كانت تأتيني يومًا يومًا، وأنك كنت في قبور الماذرائيين بالقرافة، منذ يوم كذا، وأنني اجتزت هناك، واطلعت فرأيتك بعيني، وأنك لما خرجت هاربًا عرفت خبرك، ولو أردت ردّك لفعلت، ولو علمت أنك قد بقي

لك مال أو حال لما تركتك، ولم يكن ذنبك عندي مما يبلغ أن أتلف معه نفسك، وإنما كان مقصودي: أن أدعك تعيش خائفًا فقيرًا غريبًا ممجّجًا في البلاد، فلا تظن أنك هربت مني بمكيدة صحّت لك عليّ، فاذهب إلى غير دَعَة الله، وتركني القاصد وعاد، فبقيت مبهوتًا إلى أن وصلت إلى حلب».

وحينما قدم حلب مطروح القدر، مستبرد النظم والنثر، وعلم به الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين أجرى عليه دراهم معدودة، ليتقوى بها على معيشته، ويصدق على حال أسعد مماتي. ذلك الوزير الكبير ـ ما قاله معن بن أوس:

بلوتُ الناسَ قرنًا بعدَ قرنٍ

فلم أرَ غيرَ ختّالٍ وقالي

وذقتُ مرارةَ الأشياءِ طُرًا

فما شيء أمرَّ من السؤالِ

ولم أرَ في الخطوبِ أشدَّ وقعاً

وأصعب من مُعاداةِ الرجالِ[1]

مصادر ترجمته وأخباره:

سير أعلام النبلاء: (٢١ / ٤٨٥ ـ ٤٨٦).

وفيات الأعيان: (١ / ٨٤ ـ ٨٦).

معجم الأدباء: (٦ / ١٠٠ ـ ١٢٦).

البدايه والنهايه: (١٣ / ٥٣).

obeikandl.com

إنباه الرواة: (١ / ٢٦٦ ـ ٢٦٩).

حسن المحاضرة للسيوطي: (١ / ٥٥٦).

شذرات الذهب: (٥ / ١٩، ٢٠).

خريدة القصر، قسم شعراء مصر: (١ / ١٠٠).

بغية الطلب في تاريخ حلب: (٤ / ١٥٦١،١٥٦٥).

كشف الظنون: (٧٧٦، ١٠١٥، ١٢١٥).

الأعلام: (١ / ٣٠٢).

معجم المؤلفين: (٢ / ٢٤٩ ـ ٢٥٠).

(١) الشوارد: (٢ / ٤٢٠).

obeikandl.com

الوزير ابن العلقمي الرافضي

(٥٩٣ ـ ٦٥٦هـ)

هو وزير كبير، وكذاب مبير، كما وصفه الإمام الذهبي عليه ـ رحمة الله وغفرانه ـ، واسمه محمد بن محمد بن علي ـ مؤيد الدين الأسدي البغدادي، ويكنى بأبي طالب.

وما زال يتقلب في المناصب حتى وصل إلى رتبة الوزارة، حيث تولى وزارة الخليفة العباسي المستعصم لمدة أربعة عشر عامًا، وقد أهلته لهذه الوزارة صفات عدة، كالحزم والخبرة والمعرفة، بسياسة الملك، إضافة إلى فصاحته وقدرته على الإنشاء، حيث اشتملت خزانة كتبه على آلاف المجلدات، وحصل له من التعظيم والوجاهة في أيام الخليفة المستعصم الشيء الكثير، الذي لم يحصل لغيره من الوزراء، حتى إن الخليفة المستعصم وثق به، وألقى إليه زمام الأمور، ورغم هذا فلم يكن أهلاً للنعمة، ولا محلاً للرفعة، فهو صاحب جريمة نكراء، جرت على الإسلام والمسلمين دمارًا عظيمًا، فليس مؤيد الدين، بل حانق على الدين وأهله، وإليك خبر هذه الجريمة العظيمة على لسان الإمام الذهبي حيث يقول:

«وكانت دولته أربع عشرة سنة، فأفشى الرفض فعارضته السنة، وأكبت فتتمر، ورأى أن هولاكو على قصد العراق، فكاتبه وحسَّره، وقوى عزمه على قصد العراق ، ليتخذ عنده يدًا، وليتمكن من أغراضه، وحفر للأمة قليبًا، فأوقع فيه قريبًا، وذاق الهوان، وبقي يركب كديشًا وحده، بعد أن كانت ركبته تضاهي موكب السلطان، فمات غبنًا وغمًا، وفي الآخرة أشد خزيًا وأشد تنكيلاً».

ويقـال: إنه حـينمـا كـان في الذل والهـوان رأته امـرأة وهو راكب برذوناً، وسائق يسوق به ويضـرب فرسـه فوقفت إلى جانبـه، وقالت له: يا ابن العلقمي، هكذا كان بنو العباس يعاملونك؟ فوقعت كلمتها في قلبـه، وانقطع في داره إلى أن مات، وكان كثيرًا ما يقول:

وجرى القضاء بعكس ما أمّلته.

مصادر ترجمته وأخباره:

البدايه والنهايه: (١٣ / ٢١٢ ـ ٢١٣).

سير أعلام النبلاء: (٢٣ / ٣٦١ ـ ٣٦٢).

الوافي بالوفيات: (١ / ١٨٤ ـ ١٨٦).

العبر في خبر من غبر: (٥ / ٢٣٥ ـ ٢٣٦).

شذرات الذهب: (٧ / ٤٧٠).

تاريخ الخلفاء للسيوطى: (ص: ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣).

فوات الوفيات: (٣ / ٢٥٢ ـ ٢٥٥).

obeikandi.com

لسان الدين ابن الخطيب

(٧١٣ ـ ٧٧٦هـ)

هو علم لا يعرف، ومعرفة لا تنكر، وزير شهير، وأديب كبير، وعاقل أريب، كان يلقب بذي الوزارتين القلم والسيف، ويقال له أيضًا: ذو العمرين لاشتغاله بالتصنيف في الليل ، وتدبير المملكة في النهار، وكان أسلافه يعرفون ببني الوزير.

وهو أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن سعيد السلماني.

ولد في غرناطة ونشأ بها، وتعلم علومًا عدة، وتقلبت به الأيام، فاستوزره السلطان أبوالحجاج يوسف بن إسماعيل، ثم ابنه الغني بالله، ثم كاتب السلطان عبدالعزيز بن علي المريني، حيث رحل إليه، واستقدم أهله وولده، ثم حدثت أمور عدة كانت نهاية لسان الدين ابن الخطيب فيها.

وهو أن صاحب غرناطة «الغني بالله» ساعد المستنصر أحمد بن إبراهيم على الاستيلاء على المغرب، واشترط عليه شروطًا منها تسليمه ابن الخطيب، وفعلاً سلمه إياه، وقبض عليه وعذب، وكان من الساعين به أحد تلاميذه المقربين إليه وهو أبو زَمْرَك.

وفي شرح هذه الحادثة، يقول المقري التلمساني في نفح الطيب: «واعلم أن لسان الدين لما كانت الأيام له سالمة لم يقدر أحدٌ أن يواجهه بما يُدنس معاليه، أو يطمس معالمه، فلما قلبت الأيام له ظهر مجنها، وعاملته بمنعها بعد منحها ومنها، أكثر أعداؤه في شأنه الكلام، ونسبوه إلى الزندقة والانحلال من

ربقة الإسلام بتنقص النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، والقول بالحلول والاتحاد، والانخراط في سلك أهل الإلحاد، وسلوك مذاهب الفلاسفة في الاعتقاد،..... وكان الذي تولى كبر محنته وقتله تلميذه أبوعبدالله بن زمرك».

ثم عُقد مجلس لمحاكمته، وأفتى بعض الفقهاء بقتله، ثم أودع في السجن وقتل خنقًا، ومما قاله في أيام محنته وهو في السجن:

بعدنا وإن جاورتنا البيوت

وجئنا بوعظ ونحن صموت

وأنفسنا سكنت دفعة

كجهر الصلاة تلاها القنوت

وكنا عظامًا فصرنا عظامًا

وكنا نقوت فها نحن قوت

وكنا شموس سماء العُلى

غربن فناحت علينا السُّموت

فكم جدَّلت ذا الحُسام الظُّبا

وذو البغت كم جدّلته البُخوت

وكم سيق للقبر في خِرقة

فتى ملئت من كساه التخوت

فقل للعدا ذهب ابن الخطيب

وفات ومن ذا الذي لا يفوت

obeikandl.com

ومـن كـــــان يفـــــرح منـهـم بـه
فـــقـل يـفـــرحُ الـيـــوم من لا يموت

ولم يفلح الساعي به تلميذه ابن زمرك، بل لقي جزاء عمله، ﴿**ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾.

وسترى هذا حينما تمر بك ترجمته.

مصادر ترجمته وأخباره:

شذرات الذهب: (٨ / ٤٢٢ ـ ٤٢٦).

الدرر الكامنة: (٤ / ٨٨ ـ ٩٣).

نفح الطيب.

الأعلام: (٦ / ٢٣٥).

obeikandi.com

ابن زَمْرَك

(٧٣٣ ـ ٧٩٩٥هـ)

أبو عبدالله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد الصريحي المعروف بابن زمرك شاعر كبير ووزير عظيم، من أشهر تلاميذ الوزير الشهير لسان الدين ابن الخطيب، وصفه ابن الخطيب بقوله: «كان من صدور الطلبة والنجباء شعلة في الذكاء، يساعده ظاهر ثاقب الذهن جيد الفهم »

وما زال يتعلم وينهل من معين المعرفة حتى نبغ في علوم عدة، وأخذ يترقى في الأعمال الكتابية حتى جعله صاحب غرناطة «الغني بالله» كاتم سره، وكان ذلك سنة (٧٧٣هـ) ثم جعله صاحب رسالته وحجابته، ولم تدم هذه النعمة طويلاً فهو الساعي في أستاذه وشيخه لسان الدين ابن الخطيب حتى قتل خنقاً، فأمهله الله ولم يهمله، وجعل جزاءه من جنس عمله حيث قتل بين أهله وذويه وفي داره وهو رافع المصحف.

ويقول في شرح هذا المقري التلمساني في نفح الطيب (٥ / ٥٠):

«هو من تلامذة لسان الدين ومن عداد خدامه، فحين نبا به الزمان، وتعوض الخوف بعد الأمان، كان أحد الساعين في قتله،.... وصرح بذمه وهجوه، بعد أن كان ممن يشكره، وهكذا عادة بني الدنيا يدورون معها حيث دارت، ويسيرون حيث سارت، ويشربون من الكأس التي أدارت، وقد تولى المذكور الوزارة عوضًا عن ابن الخطيب، وصدح طيرُ عزه بعده على فنن من الإقبال رطيب، ثم آل الأمر به إلى القتل، كما سعى في قتل لسان الدين، وكان الجزاء من جنس عمله، والمرء يُدان بما كان به يدين» أهـ.

مصادر ترجمته وأخباره:

نفح الطيب: (٧ / ١٤٥ ـ ٢٦٦).

الدرر الكامنة: (٥ / ٧٨ ـ ٧٩).

الأعلام (٧ / ١٥٤).

obeikandl.com